فاعلية القرآن في تطور الممارسة النصية العربية
(استقصاءٌ لمفردات دالة من خلال إسهامات تراثية)

The effectiveness of Quran in the development of Arabic script practice
(A survey of key vocabulary through heritage contributions)

الأستاذ مكي محمد
Mr. Maki Mohammad
أستاذ لسانيات النص وتحليل الخطاب
قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات
جامعة المدية الجزائر
med_m16@yahoo.fr

ملخص البحث

لم يكن القرآن الكريم _فيما وعاه أسلافنا القدامى _ هو الكلام الإلهي المتعبد به فحسب ، بل كان فضلا عن ذلك هو الخطاب الذي أذهلهم وأمتعهم بيانا وإعجازا، فلقد تأملوه حرفا حرفا وكلمة كلمة وجملة جملة ، فوجدوا فيه ما لم يجدوه في معهود كلامهم ، وما لم يألفوه في خطاباتهم ،التي كانوا كثيرا ما تباهوا بها قبل نزوله، ولقد نشأت صلة قوية، محكمة بينهم وبين هذا الفعل اللغوي العجيب ولم يكن هذا الذهول ولا تلك الصلة مجرد عاطفة لا تترجم إلى وقائع،بل لقد حفزهم هذا الشعور المستحكم على البحث في تفاصيل هذا البيان الأخاذ وفهم أسراره ،ودفعتهم صدمة الذهول إلى استقصاء هذه الظاهرة المتميزة بكل إمكاناتها وربما اختلفت مذاهبهم تفسيرا وتحليلا ، لكنهم اتفقوا جميعا على الإقرار بتفرد الظاهرة ، وقدرتها المطلقة على تجاوز مقدور البشر، وأنى لهم أن يبلغوا شأوها وهي وحي السماء ، هي المعجزة الخالدة !

Abstract

It was not the Holy Quran, but our ancestors, the old ones, were the divine words that worshiped them. In addition, the speech astonished them and their enjoyment with a statement and a miracle. In their speeches, which they often boasted before coming down, and a strong link arose between them and this strange linguistic act. This astonishment and that connection was not merely a passion that was not translated into facts. And the shock of astonishment led him to investigate this And they may all have agreed to recognize the uniqueness of the phenomenon and its absolute ability to transcend human beings, and that they can reach their own destiny, namely the revelation of heaven, is the eternal miracle!

إشكالية المداخلة ومقولاتها :

ولم تكن هذه الروح الجديدة التي سرت في جسد العربية_ والتي سيمتد تأثيرها في ملكات

الكثير من الأعلام ، فتُفرزُ نتاجا معرفيا مذهلا _ وليدة اجتهاد عكف عليه أساطين العربية آنذاك، ولا نتاج تراكمات متلاحقة من العناية والتطوير، بل كان – في البدء – هدية السماء ، التي اختارت هذا اللسان العربي المبين ، مثلما اختارت هذا القلب العربي لتلقي نداء السماء ، وتحمل أمانة التبليغ ، التي أبت السماوات والأرض أن يحملنها

ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ
ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ
الشعراء: 194 – 195

لقد اختارت حكمة الله هذا اللسان المبين ، دون غيره من الألسن لأعظم مهمة، وأجل وظيفة هي الاستخدام الإلهي في مخاطبة أهل الأرض ، ليس في زمن النزول فحسب ، بل على امتداد الأزمنة حتى يأذن الله بقيام الساعة ، لقد كان اختيار الله لهذا الشتات من البشر الذي لم يعرف – قبل القرآن – حضارة ولا دولة ولا استقرارا بعثا لأموات ، بكل ما تحملها هذه الكلمة من دلالات ، فبُعثت أمة عظمى بوحي القرآن ، وتشكلت جغرافيا المعرفة بملامح قرآنية جديدة ، وأسس التاريخ تفاصيله الحديثة بتوجيهات الوحي المنزه ، واتخذت البشرية بوصلة القرآن موجها نحو أفق جديد " فخرجت أمة عظمى من قلب القرآن وتحرك التاريخ والحضارة بنزول القرآن ، وتقرر مصير الصراع الإنساني في هذه الأرض وتحددت وجهته بتأثير القرآن"[1]

محددات الموضوع ومفرداته الجزئية

في هذا السياق تأتي هذه المداخلة التي تؤسس لمشروع يهدف إلى استقراء تلك العلاقة القوية بين اللغة العربية والوحي القرآني الكريم من خلال تناول هذه المقولات العامة بالنقاش والتحليل

* تأثير القرآن في اللغة العربية

*ميزات العربية بعد ارتباطها بالوحي

* قدرة القرآن الكريم على حفظ العربية من الاندثار

*لغة القرآن في مرآة الفكر الغربي

*فاعلية القرآن الكريم في كينونة أنساق معرفية ما كان لها أن تكون قبل الوحي القرآني ، تلك التي كانت وثيقة الصلة باللغة العربية (علوم التفسير والحديث بتفرعاتها ، وعلوم البيان والبلاغة ، وعلوم الفقه ، والأصول ، وعلوم القرآن وإعجازه وعلوم اللغة

*مقاربة للممارسة النصية في القرآن بأدوات علماء القرآن والأصول والتفسير

أما جزئيات المداخلة فتأخذ هذا المنحى :

القسم الأول : فاعلية القرآن في حفظ العربية وتخليدها

1 الظاهرة القرآنية وتشكل الأنساق المعرفية الجديدة
2 المطلق القرآني ونسبية الجهد البشري
3 الترافق المنسجم بين العربية والقرآن
4 عالمية الفعل القرآني وعربية الخطاب:
5 لغة القرآن في مرآة الفكر الغربي

القسم الثاني : الممارسة النصية في القرآن الكريم

1 السياق الذي أنتج الدرس اللغوي
2 المرجعيات الأصولية في تطور البحث اللغوي
3 الممارسة النصية في الوعي التراثي بأدوات فارقة
4 استقراء للظاهرة من خلال عينات دالة
5 الظاهرة بأدوات الشاطبي
6 الممارسة التطبيقية بأدوات الإمام (البقاعي)

القسم الأول :فاعلية القرآن في حفظ العربية وتخليدها

1الظاهرة القرآنية وتشكل الأنساق المعرفية الجديدة

إن هذا الانقلاب المفاجئ في حياة العرب ما كان ليكون لولا ثورة القرآن التي قلبت راهنهم رأسا على عقب ، ووجهت اهتماماتهم وجهة أفاضت على كل مناحي حياتهم معاني الإيجابية والعطاء والتمكين وبالتأكيد لم تكن لغتهم بمنأى عن هذه المعاني الجديدة ، مثلما أنها لم تكن الملمح الوحيد في التشكل الجديد للواقع العربي،بل لقد أفاض الوحي على البيئة العربية روحا أشرقت بمعاني إيجابية فعالة وألهمت الملكة العربية نزوعا نحو الإبداع فكان ميلاد أنساق معرفية متنوعة تنطلق كلها من روافد القرآن العذب " وبوسعنا أن نقول إن نزول القرآن كان بمثابة الثورة اللغوية التي وضعت العربية على بداية الطريق إلى الحضارة الثقافية والتي بدأت عملية إبداعية هائلة ، في مجال العقل المسلم ، ونشأت علوم كثيرة ما كان لها أن تكون لولا نزول القرآن "[2]

ولا أدل على ذلك من أن كثيرا من العلوم التي كانت وثيقة الصلة باللغة العربية بوصفها الأدبي ،فضلا عن صلتها بأنساق أخرى غير أدبية ، _ هذه العلوم التي سيكون لها بالغ الأثر في تغيير منظومة تفكير الإنسان العربي جذريا ، وتشكل شخصيته وفق منطلقات مغايرة تماما لما قد سلف _ما كان لهذه العلوم أن تُوجد لولا وجود القرآن الكريم إذ " تتابعت الجهود في مختلف المجالات وتنوعت الاجتهادات وتعددت المقاربات حتى تراكمت لدى الأمة مجموعة هامة وكبيرة ومتنوعة من المعارف تحولت خلال القرنين الهجريين الأول والثاني إلى علوم وفنون ومعارف وصناعة مدونة وبقيت مدارس علماء الأمة تضيف عليها وتحذف منها وتطور فيها وتتوسع في قضاياها حتى بلغت حد من تكامل في مشارف القرن الرابع الهجري وهنا استوت على سوقها وعرفت مبادئها واستقرت وسائلها وتمايزت مقاصدها عن وسائلها واستقل كل منها بشيء من ذلك ، فكانت أحد عشر علما ، مابين علم وسائلي مثل علوم اللغة والمنطق وعلوم مقاصدية مثل علوم التفسير والحديث والأصول والفقه والتوحيد وذلك بقطع النظر عن تفرعاتها وشعبها الداخلية وأنواع المعارف التي أخذ بعضها في حجر بعض حتى تجاوز عددها في القرن السادس وما تلاه مائة علم وفن "[3]

وقد يبدو من الإجحاف خارج هذا السياق أن نتصور أن امتدادات القرآن وقدرته على توليد الطاقة المغايرة تقف عند هذا الحد ،حينما نعتقد أن ما جاء به القرآن_مع التسليم بفاعليته وتميزه _ لا يتجاوز سقف اللغة المعجزة بوظيفتها الدينية التربوية، وإلى جنبها بعضا من العلوم التي لا يصل تأثيرها إلى مشروع أكبر يتمثل في إعادة تشكيل الإنسان المتلقي خلقا آخر، وهو تصور خاطئ يقع فيه الكثير ممن تقتصر معرفتهم بالقرآن على جانب واحد فحسب بل إن تأثير القرآن قطعا تجاوز هذا السقف ، إنه ذلك المعبر عنه في القرآن بتبيان كل شيء ﴿ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾ النحل 19 وتبيان كل شيء يعني أن الوحي الرباني المنزه لم يغفل صغيرة ولا كبيرة في حياة الناس إلا أحصاها ونظمها في أحسن تقويم ، لقد كان القرآن بهذا الوصف " كتاب هداية وتشريع لا شك في هذا ولكنه كتاب استقراء لمجاهيل الكون وأثباج الطبيعة ومفاوز الفضاء ومسالك ما تحت الأرض وهو أيضاً المصدر الحقيقي الدقيق لتأريخ الديانات السماوية وحياة الرسل والأنبياء والشهداء

والصديقين وهو كذلك النموذج الأرقى في استيعاب مشكلات الأزمنة المتناقضة بين السلب والإيجاب ، يجد حلولها ويوفر علاجها "[4] ولعل هذا هو السر الخفي الذي جعل من هذه المدونة المقدسة تتسم بجملة من الميزات أهمها :الخلود الإعجاز، البعد العالمي والقدرة العجيبة على إيجاد أجوبة للأسئلة التي يطرحها البشر في كل مناحي حياتهم ليس في عصر التنزيل فحسب بل في كل العصور والحقب المتوالية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

2 المطلق القرآني ونسبية الجهد البشري

والمتأمل في حركة التاريخ بدءا من نزول الوحي يلحظ ذلك الترافق المنسجم بين طاقة التلقي لدى الإنسان الجديد الذي تشبع بقيم الوحي وبين فاعلية الاستجابة السريعة التي تُترجم تفاعلا فطريا عجيبا أثمر في زمن يسير _يدعو للتأمل والذهول_ منجزات خارقة ومخرجات قد لا تستوعبها عقولنا المجهدة بتفاصيل الراهن المتردي ، فلقد تغيرت وقائع حياتهم بفعل القرآن تغيرا جذريا ، جعل منهم روادا في كل شيء بما أنجزوه بمقتضى الالتزام بتعاليم الدين الجديد.

ورغم عظمة هذا المنجز الذي أثمره الالتزام بمقتضى الرسالة المحمدية من جهة والاشتغال على القرآن الذي تصدرت له الأجيال المتلاحقة من الأعلام من ذوي الكفاءات النادرة إلا أن طاقة القرآن الخلاقة لم يستوعبها الجهد البشري الذي ظل يُجهد قدراته في الوصول إلى الحدود الممكنة وقطعا ليست القصوى ، ذلك أن الوصول إلى إمكانات الفعل القرآني المطلقة غاية لا تدرك مع قدرة البشر المحدودة ! وليس تعبيرا أدق من القول بأن" كل الجهود قد حومت بالأمة حول شواطئ ذلك الكتاب المجيد المكنون وقدمت شيئا من الفوائد ولكنها قد قصرت عن الإلمام بمطلق الكتاب ، إذ هيمنت نسبية البشر على ذلك المطلق وقيدته إلى مدركاتها الظرفية ومحدداتها الزمانية والمكانية "[5]

و هو التوصيف نفسه في تأثير القرآن على حياة الناس واهتماماتهم ومشاربهم وجزئيات واقعهم الجديد الذي أصبح له أكثر من معنى ، يمتد هذا التأثير العجيب ليلون كل مظاهر حياة المؤمنين بألوان مشرقة وتبدو العربية بثوبها القشيب بتأثير تلك الطاقة المطلقة للوحي في قلب التغيير" فالقرآن في صورته الطلقة الحرة ، من كل قيد ، هو الذي خرج بالأساليب العربية من حدودها وهو الذي أطلقها من قيودها فصارت أداه التعبير الفنية عن الحياة والحضارة في جوانبها وأجزائها المختلفة "[6]

3 الترافق المنسجم بين العربية والقرآن

وعلاقة القرآن بالعربية لا تتحدد في كون هذه اللغة هي لسان الوحي الذي خوطبت به البشرية جمعاء رغم أن هذا التشريف لم ترق إليه لغات أخرى بل إن القرآن يمثل " كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم ، فهو الكتاب الذي أخلد العربية وحمى كيانها وخلد معها ، فصار فخرها وزينة تراثها صرف "[7] وما كان للعربية _قطعا_ أن يُكتب لها الخلود لولا مرافقة القرآن لها ومن المؤكد أنه سيكون مآلها الذوبان في لهجات متعددة شأن لغات كثيرة قبلها، تلاشت في لهجات عبر حقب من الزمن، نعم " لولا القرآن وما صاحبه من حرص على حفظه في الصدور واستمرار مراجعته وتناقله_ ثم ما كان من حرص الرسول على كتابته بأيدي كتاب الوحي — لولا ذلك ما بقي من العربية إلا القليل ولتشرذمت إلى عدة لغات بعدد لهجاتها "[8] .

إن هذا الحفظ وتلك الرعاية وقد اكتنفا العربية من لدن حكيم خبير صنعا لها خلودا واستقرارا لم تحظى به لغات أخر هيمنت زمنا ثم بادت وانقرضت إن بلوغ العربية هذه الدرجة من الكمال

الذي أعدها لنزول القرآن بها حدثا جليلا تميزت به عربية القرآن في ألسنة قريش على أخواتها من الفصيلة السامية وهي العبرية التي كتبت بها التوراة والآرامية التي كتبت بها الأناجيل فبقي القرآن بكمال لسانه وأية بيانه على حين أصاب التحريف ما نزل من كلام الله في التوراة والإنجيل "[9] ومن الحكمة في هذا الاتجاه أن نطرح سؤالا تبدو إجابته واضحة وهو ما السر في أن لغة مثل اللاتينية القديمة تقطعت أوصالها فأصبحت لغات متعددة فرنسية وإسبانية وإيطالية وهو ما لم يحدث للعربية ؟ بل إن المعاينة التاريخية الموضوعية في سياق استقراء تطور اللغة الانجليزية _مثلا _ تقول أن" الانجليزية منذ قرنين فقط توصف بالقدم !لأن أغلب كلماتها آنذاك قد انسحبت من الاستعمال ولأن هناك مؤثرات تكاد تقفز بهذه اللغة قفزا سريعا ولاسيما في المجتمع الأمريكي حتى أنها كادت تستغرب على ألسنة أهلها إذا مر عليها عدة أجيال "[10]وفي المقابل نجد العربية تحافظ على كل مكوناتها التركيبية ،الإفرادية ، المعجمية ، الصوتية بل إنه كلما تقدم بها الزمن ازدادت العربية تألقا وجمالا بنموذجها القرآني الذي يغري طلاب البيان ومريدي الفصاحة بأن ينهلوا من ينابيعه الصافية وما ذلك إلا " لأن هناك فرقا هائلا بين العربية وغيرها من اللغات وهذا الفرق يتمثل في أن المعجم الإفرادي والتركيبي للعربية يتميز بكثير من الثبات والاستقرار نظرا لوجود القرآن الكريم وبيانه في الحديث النبوي الشريف وهما حدا مابين العربية القديمة على لسان أهل الجاهلية والعربية المعاصرة على ألسنة الأمة الإسلامية فهذه العربية مقروءة ومكتوبة ومحفوظة في صدور الرجال منذ كان الإسلام ومازالت الأمة تتعبد بحروف القرآن ترتيلا وتجويدا وموسقة، بل مازالت لغة القرآن هي النموذج الأمثل الذي يحتذى على أقلام الكتاب المعاصرين مهما اختلفت اتجاهاتهم وموضوعاتهم وأهواؤهم "[11]

إن كل القرائن التي سقناها تدلل أن القرآن الكريم المعجز هو الطاقة التي هيأت للعربية الحفظ والخلود والانتشار في تلك العلاقة المتلازمة بين الاثنين " وهكذا ظهر لنا التأريخ الحضاري المشترك بين اللغة العربية والقرآن الكريم مما شكل مظهراً اجتماعيا متلازماً ، فالحفاظ على اللغة يعني الحفاظ على القرآن وصيانة لغة القرآن يقتضي صيانة لغة العرب،لارتباط وجودها التأريخي بوجوده التشريعي واستمرار رقيها بلمح من استمراره ولما كان القرآن الكريم ، معجزة محمد الخالدة ، وهو مرقوم بهذه اللغة الشريفة ، فالخلود متصل بينهما رغم عادية الزمن وهذا أمر يدعو إلى الاطمئنان على سلامة اللغة وأصالة منبتها "[12] ويمكن أن نسجل أيضا في السياق نفسه أن " هذه اللغة مصونة بالقرآن ومحفوظة به ، نتيجة تضافر جهود علماء العروبة والإسلام في نفي الشوائب ودرئ الأخطار حتى سلمت هذه اللغة من التدهور والانحطاط اللذين عرضا لجملة من لغات العالم وعلى العكس من ذلك فقد ارتفعت لغة القرآن عن مستوى الانصهار في غيرها من اللغات واعتصمت بمخزونها عن الدخيل من الألفاظ وهي بين هذه وذاك تصارع حركات العامية وتدحض شُبه الانقضاض على التراث وتسمو عن مسيرة الإذابة بالرطانات الأعجمية واللهجات الإقليمية ، حتى كتب لها الخلود ببركة القرآن العظيم وظلت رمز الشموخ الوضاء "[13]

4عالمية الفعل القرآني وعربية الخطاب:

ورغم اختيار الحكمة الإلهية اللسان العربي خطابا للبشر إلا أن هذه الحكمة نفسها اقتضت أن تجعل من الفعل القرآني بعدا عالميا يتجاوز بيئة

العرب ويتخطى مواطن التنزيل الرباني (مكة والمدينة) إلى مشارق الأرض ومغاربها في رحلة أزلية تبحث عن ملكات بشرية خصبة تستوعب هذه الطاقة القرآنية المعجزة فتستثمرها في التمكين لهذا الدين الجديد بكل مفرداته ومقولاته الأدبية والاجتماعية والسياسية والثقافية والعلمية ... إننا نفهم من تلك الواقعة الرائعة التي ضرب فيه النبي القول الفصل في أحقية البشر كلهم في أن يغترفوا من هذا النبع العذب ، حين قال قولته الشهيرة (إن العربية ليست لأحدكم) : ف " عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي فقال : هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل ، فما بال هؤلاء ؟

فقام معاذ بن جبل , فأخذ بتلابيبه ثم أتى به إلى فأخبره بمقالته ، فقام النبي مغضباً يجر رداءه ، حتى دخل المسجد ثم نودي : إن الصلاة جامعة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد :

أيها الناس إن الرب رب واحد ، والأب أب واحد والدين دين واحد وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم ، إنما هي لسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي ، فقام معاذ بن جبل فقال : بم تأمرنا في هذا المنافق ؟

فقال : دعه إلى النار ، فكان قيس ممن ارتدَّ فقُتل في الردة "[14]

إنه درسٌ بليغٌ ، المعلم فيه النبي الذي أوتي جوامع الكلم القائل عن نفسه " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش "[15] درسٌ أهم دلالاته أنه ينبذ العصبية الجاهلية ويتبرأ من كل من يصادر لسان القرآن ويجعل من العربية ملكا له ،بل هي لغة عالمية ، هي ملك لمن ينطق بها ويخدمها ولذلك تسابقت الملكات من جزيرة العرب ومن قارات المعمورة إلى خدمة هذه العربية والذود عنها وما أكثر الأسماء التي قدمت للغة القرآن العطاء الجزل من الهند والسند وأقاصي أسيا وأوروبا وأفريقيا مثلما قدمت للحضارة الإسلامية العالمية قيما كثيرة وحين نستنطق التاريخ فإنه يمدنا بأسماء كثيرة ناصعة عظيمة لا يسع هذا العرض أن نوردها كلها ، فهذا إمام اللغة (سيبويه) المنحدر من بلاد فارس صاحب (الكتاب) أنفس كتب النحو وذاك(ابن جني) من فقهاء اللغة يوناني الأصل و (الجرجاني) من جرجان إمام البلاغة وصاحب نظرية النظم أقوى نظريات الدرس السياقي و(الفيروزبادي) الهندي صاحب أعظم معجم لغوي (القاموس المحيط) ، ومن أهم رواد البحث في إعجاز القرآن (الباقلاني) و(الخطابي) من بلاد الأفغان...وإذا تحدثنا عن أئمة الحديث ألفينا (البخاري) من بخارى و(مسلم) من نيسابور وأبا داوود من أفغانستان و(النسائي) من تركمان و(الترمذي) من ترمذ في أوزبكستان ، وشيخ الإسلام (ابن تيمية) من أصول كردية ...إلخ ، دون أن نتحدث عن أسماء كثيرة في علوم أخرى كالطب والرياضيات والهندسة والفلك والفلسفة... وما لا تحصيهم صفحات هذه المداخلة ، كل هؤلاء الأعلام الجهابذة عرَّبهم الإسلام فأقاموا _جنبا إلى جنب مع إخوانهم من العرب ومن قوميات أخرى كلها ذابت في بوتقة الإسلام_ أعظم حضارة عرفتها البشرية ومازالت أثارها قائمة إلى الآن، حضارة روحها تعاليم الإسلام ولسانها العربية وروادها عظماء تشبعوا بقيم الإسلام فكان كل واحد منهم أمة وحده يحرس هذه القيم في الموقع الذي اختاره الله له ، إنها الحاضنة الإيمانية القرآنية التي أنجبت هذه الأجيال النادرة إن " هذا المنظور الرائع للقرآن يوحي بعالمية القرآن وهذا الفهم

الرصين لمناخ القرآن يقضي بإنسانية رسالته بعيداً عن النظرة الإقليمية الضيقة وهذا الواقع المعاصر في تقييم القرآن هو الذي يؤكد حقيقة الصيغ العالمية في مفاهيم القرآن "[16] وفي الاتجاه نفسه نفهم معنى أن يقول _بإنصاف_ شيخ المستشرقين الألمان (ثيودور نولدكه) "لم تصر العربية حقًّا لغة عالمية إلا بسبب القرآن والإسلام؛ إذ تحت قيادة القرشيين فتح البدو، وسكان الواحات، نصف العالم لهم وللإيمان، وهكذا صارت العربية لغة مقدسة أيضًا [17]"

5لغة القرآن في مرآة الفكر الغربي

وحين نعاين أراء أولئك الذين يخالفوننا اللغة والثقافة والمعتقد كي نميز قيمنا ونحدد مدى مصداقيتها ويكون رأيهم _ رغم اختلافاتنا معهم على مستويات عدة _ منصفا ، بل يرقى إلى أعلى درجات التقدير فذلك يعني أن مكونات هويتنا قوية ثمينة ومن السذاجة التفريط فيها تحت معاول الهدم التي ينصبها الأعداء أو تحت تأثير تلك الأبواق التي ينعق فيها أشباه المثقفين من بني جلدتنا الذين سلبتهم ثقافة الآخر، نقول هذا الكلام كي نرد على المتساقطين المتهالكين الذين تنكروا لقيمهم الثمينة ومن جملة هذه القيم لغتهم العربية الخالدة التي شهد لها ذلك الآخر من المفكرين والمستشرقين الغربيين باختلاف نواياهم وقديما قيل : الحق ما شهدت به الأعداء ، وإن كنا لسنا بحاجة إلى شهادات غيرنا كي نرتضي قيمنا وهويتنا فهي تجري فينا مجرى الدم من العروق ولكننا نورد بعض هذه الشهادات على سبيل الرد على المتربصين بلغتنا وخاصة من أبناء جلدتنا فما أحوجهم أن يسمعوا أقوالا من الفكر الغربي طالما إيمانهم بأشياء الغرب أكثر من إيمانهم بتراثهم ، إننا نورد جملة من الأقوال التي أنصفت لغتنا الرائعة على أن أصحاب هذه الأقوال ليس بالضرورة يؤمنون بثقافتنا وفكرنا وتراثنا قلبا وقالبا ، ولكن ذلك لم يمنعهم من الإنصاف والرأي الموضوعي وهي أقوال تحرينا فيها مضمونا مهما هو كيف تمثل هؤلاء اللغة العربية ، وما هي ملامح الإعجاب عندهم حيال العربية "[18]

يقول الكاتب الفرنسي (إرنست رينان) في نبرة الذاهل المتسائل الذي يبحث عن سر عظمة العربية " من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية فقد كانت غير معروفة بادئ بدء فبدأت فجأة في غاية الكمال سلسة أي سلاسة غنية أي غنى كاملة، بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم فليس لها طفولة ولا شيخوخة ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة ولم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم إلى اللغة العربية ليفهمها النصارى " [19] ومع أن هذا الرجل ليس من السهل أن تفتك منه شهادة من هذا العيار لما عُرف عنه من تعصب للغرب إلا أن الحيرة حد الذهول تبدو واضحة في كلامه فيضيف والدهشة مازالت تأسره " من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغيير يذكر حتى انه لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ،ولا نكاد نعلم من شأنها ألا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى "[20] وإذا تجاوزنا (ماسينون) إلى مفكر آخر لا يقل إعجابه بالعربية عن السابق بل إنه يصرح كما لو أنه من أبناء العربية، ينتصر لها ويرفعها على كل اللغات لنتأمل كلام المستشرق النمساوي

(جوستاف جرونيباوم) حيث يقول " وما من لغةٍ تستطيعُ أن تطاولَ اللغةَ العربية في شرفِها فهي الوسيلةُ التي اختيرت لتحملَ رسالةَ الله النهائية وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودعَ الله في سائرِ اللغات من قوةٍ وبيان أمَّا السعة فالأمرُ فيها واضح" [21] ثم يضيف مؤكدا فضل العربية على سائر اللغات " ومن يتتبع جميعَ اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية "[22] ثم يحدد بعضا من مبررات هذا التفضيل الذي يبدو فيه مطلعا على خصائص العربية أحسن من بعض أبناء العربية أنفسهم أحيانا، يقول " ويُضاف جمال الصوت إلى ثروتِها المدهشة في المترادفات، وتزين الدقة و وجازة التعبير لغة العرب، وتمتازُ العربيةُ بما ليس له ضريب من اليسرِ في استعمالِ المجاز وإن ما بها من كناياتٍ ومجازات واستعارات ليرفعها كثيرًا فوق كلِّ لغة بشرية أخرى وللغةِ خصائصُ جمَّة في الأسلوبِ والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أيِّ لغةٍ أخرى وهي مع هذه السعة والكثرة أخصرُ اللغاتِ في إيصال المعاني وفي النَّقلِ إليها، يبين ذلك أنَّ الصورةَ العربية لأيِّ مَثَل أجنبيٍّ أقصر في جميعِ الحالات "[23] ويبدو المستشرق الألماني (يوهان فك) مدركا لعالمية اللغة العربية ومركزية تأثيرها حيث يقول " إنَّ العربيةَ الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزِها العالمي أساسيًّا لهذه الحقيقة الثابتة وهي أنَّها قد أقامت في جميعِ البلدان العربية والإسلامية رمزًا لغويًّا لوحدة عالمِ الإسلامِ في الثقافة والمدنية "[24] ومع التأكيد على قوة العربية التي هي امتداد لقوة تراثها يؤكد(يوهان)أن خلود العربية وحفاظها على هويتها لا تخطئه الدلائل "لقد برهن جبروتُ التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كلِّ محاولةٍ يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامِها المسيطر وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائلُ فستحتفظ العربيةُ بهذا المقامِ العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية "[25] أما الباحث الألماني (فرينباغ) فيتجاوز مسألة أن تكون العربية أغنى اللغات ذلك تحصيل حاصل وإنما الذي يدعو للملاحظة هو ذلك الكم الكبير من المدونات والمصنفات التي كتبت بالعربية " ليست لغة العرب أغنى اللغات فحسب بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العد "[26] ليتأسف بعد ذلك عن تفويت فرصة التواصل مع الشرق العربي قصد الإفادة من هذا التراث بسبب الاختلافات والتباين " وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجابا لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة "[27]

أما الإسباني (فيلا سبازا) فيجزم أن العربية أغنى اللغات عاقدا مقارنة موجزة بينها وبين لغات أوروبا فيقول " اللغة العربية من أغنى لغات العالم بل هي أرقى من لغات أوروبا لأنها تتضمن كل أدوات التعبير في أصولها، في حين الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدرت من لغات ميتة "[28] ثم يعجب بعد هذا البيان من بعض أبناء الشرق الذين يتنكرون لهذه الثقافة الأصيلة ويرتمون في أوهام التمدن الغربي فيقول بنبرة السخرية " وإني لأعجب لفئة كثيرة من أبناء الشرق العربي يتظاهر أفرادها بتفهم الثقافات الغربية ويخدعون أنفسهم ليقال عنهم أنهم متمدنون "[29] ، ومن المفيد أن نرصد أيضا تلك المقاربة الموضوعية التي يقدمها المستشرق المجري (عبدالكريم جرمانوس) حيث يبين بمنطق الخبير المتمرس سر قوة اللغة العربية الذي يتمثل في ثنائية القرآن والإسلام ، ليحدد بعد ذلك بعض ميزات اللسان العربي التي قل أن توجد في لسان آخر، لنتأمل هذا النص الرائع : "إنَّ في الإسلامِ

سندًا هامًّا للغة العربية أبقى على روعتِها وخلودها، فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة، على نقيضِ ما حدث للغاتِ القديمة المماثلة كاللاتينية؛ حيث انزوت تمامًا بين جدرانِ المعابد، ولقد كان للإسلامِ قوة تحويل جارفة أثرت في الشعوبِ التي اعتنقته حديثًا، وكان لأسلوبِ القرآن الكريم أثرٌ عميق في خيالِ هذه الشعوب، فاقتبست آلافًا من الكلماتِ العربية، ازدانت بها لغاتها الأصلية، فازدادت قوةً ونماءً، والعنصرُ الثاني: الذي أبقى على اللغةِ العربية هو مرونُتها التي لا تُبارى، فالألماني المعاصر مثلاً لا يستطيع أن يفهمَ كلمةً واحدةً من اللهجةِ التي كان يتحدث بها أجدادُه منذ ألف سنة، بينما العربُ المحدثون يستطيعون فهمَ آداب لغتِهم التي كتبت في الجاهليةِ قبل الإسلام"[30]

ويؤكد الكاتب الأمريكي المعروف (فان ديك) امتياز اللغة العربية في نص هو بمثابة الحكم أو النظرية التي يصدرها عالم لساني مرموق فيقول " العربيةُ أكثر لغاتِ الأرض امتيازًا وهذا الامتيازُ من وجهين؛ الأول: من حيث ثروة معجمِها والثاني: من حيث استيعابها آدابها""[31]

ولا تتمالك الألمانية (سيجريد هونكه) نفسها وهي المتيمة بالشرق الإسلامي حيث تبوح في ثنايا كتابها المعروف (شمس العرب تسطع على الغرب) بعدم قدرتها على مقاومة سحر العربية ومنطقها السليم تقول "كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟؟ ! فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة ، فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغفٍ ، حتى إن اللغة القبطية مثلاً ماتت تماماً ، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة محمد "[32]

وبعد هذه المتابعة لتلك الشهادات _وهي قليلة قياسا بما قيل في حق العربية_ كيف يُمكن أن نفهم تلك الدعاوى المفرغة من المصداقية التي تعد اللغة العربية مظهرا من مظاهر تخلف الأمة وأن السبيل إلى التطور واللحاق بركب الغرب التائه إنما هو التنكر لهذه اللغة والإعراض عن مقومات هويتنا ؟!

القسم الثاني : الممارسة النصية في القرآن الكريم

ويأتي القسم الثاني من هذه المقاربة ليلامس بعض المفردات التي تُمكن من فهم نسق القرآن الكريم المبهر حين عقد تلك الصلة المتينة بينه وبين العربية فأضحت أشرف لغة وأبين لسان وأغنى ذخيرة ، وأعظم حجة وأطول عمر بين كل اللغات ، مثلما أصبحت لغة محفوظة بقدر الله تعالى أولا ثم بجهد المؤمنين بضرورة الحفاظ عليها من الأعلام العظام ، الذين نذروا أنفسهم لهذه المهمة العظيمة بوصفها من شعائر الدين.

وفي هذا المساق نهدف اقتراح مدخل ناظم يستحضر مقولات دقيقة أنجزها علماء التراث ونخص على وجه التدقيق علماء القرآن والأصول والتفسير دون الإشارة إلى علماء النحو ، ويهدف هذا التخصيص لتأكيد فرضية مهمة وهي أن منجز هؤلاء الأعلام يتنزل في سياق الدرس اللساني النصي أي الاشتغال على النص بالتحديد ، وهو ما يميزهم عن غيرهم من علماء النحو نسبيا _ رغم أن هؤلاء _ أي علماء النحو _ أبدعوا أيما إبداع في الدرس اللغوي على مستوى الجملة ، كما أن لهم إشارات مهمة في الدرس النصي ، ورب سائل يقول لماذا هذا التحديد بالذات ، يعني لماذا تتوجه هذه المقاربة إلى النص ؟ وما خصوصية هذه المعاينة ؟ الدافع الأساسي هو دحض فكرة مفادها أن الدرس النصي هو منجز غربي صرف ، رواده أسماء معروفة مثل (فان ديك) و(دي بونجراند) و(مايكل

هاليداي) وغيرهم وأن الاشتغال على قضايا النص لم يكن متبلورا في تراثنا العربي القديم ، وأقصى ما أُنجز هو بحث على مستوى الجملة ، وهي فكرة تجانب الصواب خاصة حينما يتعلق الأمر بمنجزات علماء القرآن والأصول والتفسير الذي قدموا مادة علمية غاية في الجودة والدقة حول النص وقضاياه انطلاقا من الخطاب القرآني بوصفه المعجز والمقدس ، وللبرهنة على هذا الطرح تناولنا في هذه المداخلة مقولة الاتساق (**Cohésion**) لكونها أهم معايير النصية بالمنظورين الغربي والعربي وحاولنا أن نفهم الكيفيات التي رصد به بعض أعلامنا ظاهرة الاتساق ومدى تمثلهم لتلك العلاقات القائمة بين أجزاء النص الكريم عبر عينات دالة على المستويين النظري والتطبيقي ونقصد بالنظري تلك التحديدات النظرية التي ناقشها علماء القرآن والأصول أما المستوى التطبيقي فهو معاينة المدونة التفسيرية التي اعتمدت ظاهرة التناسب قاعدة لفهم دلالات النص القرآني الكريم وحصرا لوجهة الدراسة اخترنا تفسير الإمام (البقاعي) الموسوم ب(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) كي نعاين بعض مفرداته التي توضح المنهج النصي الذي اعتمده المفسر .

1 السياق الذي أنتج الدرس اللغوي

من المهم الإشارة إلى فكرة قد تبدو عابرة في مساق معاينة الدرس اللغوي التراثي لكنها على درجة عالية من الأهمية وهي أن "أكبر نص لغوي اهتم به العرب هو القرآن"[33] وأهمية هذه الفكرة تتحدد في انصراف الجهد كله نحو المدونة القرآنية بكل دقائقها اللغوية ،النصية ، الدلالية، التداولية وفي المستوى الثاني انخراط كل الطاقات_على تباينها واختلاف مشاربها واهتماماتها_ في هذا المشروع الكبير، ألا وهو خدمة القرآن، بحماس منقطع النظير، قصد بيان فرادته وتميزه وهي مهمة تستوجب بالضرورة فهم هذا النص فهما جيدا وإدراك دقائقه الخفية

وفي استقصاء المبررات التي حفزت دافعية الكثير من الأعلام _ لاسيما علماء علوم القرآن ، الإعجاز، أصول الفقه ،التفسير وبعض المشتغلين بعلم الكلام _ للتوجه نحو القرآن بهذا الحماس الوثاب ينبري مبرر الدفاع عن كتاب الله لقداسته ونزاهته وتعاليه في مقدمة هذه المبررات ،بما يرد طعن القادحين ،ويجلي روعة الفعل القرآني وتميزه "وتتبين عبقرية المسلمين، في فهم آيات القرآن،لا في مواجهة الطاعنين عليه، لتخريج بعض عباراته ومحتواه على محمل مقبول فحسب،وإنما عبقريتهم في تحويل قوادح الطاعنين إلى ممادح" [34]

ومبرر الدفاع عن القرآن هو المحرك نفسه الذي جعلهم يبدعون أيَّما إبداع في قضايا النص بكل مستوياته وكأن عظمة النص القرآني ألهمت المشتغلين فكانت مخرجاتهم العلمية على درجة عالية من الدقة والجودة والمصداقية ، إلى حد الجزم _دون مبالغة_ بأن نتاجهم في هذا الاتجاه ربما تجاوز عتبة المنجز الغربي الحديث في بعض الجزئيات ، مع الوعي بمتطلبات سياقهم التاريخي والثقافي وما تمليه اشتراطات زمانهم " لقد كان هذا التوجه من قبلهم إيذاناً مبكراً لإرساء بعض القواعد المنهجية لعدد من الدراسات التي اتصلت العلوم اللسانية بها حديثاً فقط ونقصد بهذه العلوم: الدراسات المتزامنة للغة والدراسات الأسلوبية والمقارنة والدراسات النصية أو ما يسمى (لسانيات النص) وعلم الدلالة والتداولية وعلم الإشارة..."[35] ولئن كان هذا الشاهد يؤكد على التوجه المبكر للدراسات اللغوية التراثية التي اتخذت القرآن الكريم مدونة تأصيلية لعديد النظريات والقواعد المشتغلة بقضايا اللغة بما في ذلك الدرس اللساني النصي؛ فإنه في سياق متصل وهذا

"ما يهمنا هو أن نقف على ذلك الخطاب الذي أنشأه السلف دراسة للخطاب القرآني وتحليلاً له إذ به سجلوا مواقفهم وبه انفتحت طرق فكرهم وبه تعددوا فرقاً ووجهات نظر وهذه قضايا في رسم ملامحها؛ تتجدد أطر نشأة الدرس اللغوي والأسلوبي والبلاغي في الثقافة العربية الإسلامية " [36] إن هذا التوجه المبكر الذي أشار إليه الشاهد السابق – بدقة متناهية– لا يدلل على أسبقية المنجز التراثي فحسب ، بل يُؤصل لمخرجات علمية ذات كفاءة فائقة يُتوجُ بها منجزنا التراثي بأرفع الأوسمة ؛ ومع هذا الاعتراف بالسبق والجودة، يُطرح سؤالٌ مهمٌ عن سبب القطيعة النكرة بين بعض نخبنا المعاصرة و تراثهم الخصب !

2 : المرجعيات الأصولية في تطور البحث اللغوي

لقد كان من الثابت لدى علماء التراث ،المشتغلين بالقرآن ،الباحثين في أسراره ودلائل إعجازه ؛ أن هذا الفعل الرباني محكم بدقة متناهية ، متسق بتماسك عجيب وأن إدراك ما في هذا الخطاب الكريم من الإحكام المتقن والتماسك المتين هو إدراك لبعض مظاهر إعجازه وتميزه ولأجل ذلك كان ديدنهم تحديد المفردات التي تُمكن من فهم النسق العجيب الذي يتجلى به القرآن الكريم بهذا الإتقان والإحكام واللافت للنظر أن مقارباتهم اختلفت في أدواتها الواصفة ،منها ما اعتمد التوصيف التركيبي النحوي ومنها ما اعتمد التوصيف البلاغي ومنها ما اعتمد التوصيف الدلالي التداولي وربما امتد هذا التوصيف إلى الاستقراء الفلسفي الذي يُعد قيمة مضافة رغم بعض مآخذه المرتبطة أحيانا بشطط فكري يحسن تلافيه ؛ ورعا مع كلام الله ومثلما اختلفت أدواتهم الواصفة اختلفت أيضا مرجعياتهم المحفزة وسياقاتهم المعرفية الدافعة فكان منهم علماء الأصول ، علماء التفسير ، علماء في علوم القرآن ، فضلا عن علماء البلاغة و النحاة والفلاسفة ... ولقد مكن هذا التراث الثري المتنوع _ الذي اشتغل على أعظم مدونة لغوية وهي القرآن الكريم ، قراءة ، بحثا ، وتأصيلا _ من دفع الدرس اللغوي قدما إلى الأمام بطاقة خلاقة وسرعة فائقة قلَّ أن تتوفر في جيل من الأجيال وهنا " يتعين لنا الإشارة بوضوح إلى تلك المادة الغزيرة من البحث اللغوي المثري–قطعا– للفكرة النقدية التي تحتوي عليها كتب أصول الفقه" [37] لما تحتويه من " الكثير من المباحث الدائرة حول اللغة في مختلف صور استخدامها وحول كثير من مستويات بحثها بخاصة ما يتصل بالصيغة والتركيب والدلالة...انطلاقا من حقيقة أن المصدر الأساسي للتشريع والعقيدة ، هو مصدر لغوي ، يتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف" [38] وفي سياق التأكيد على قيمة ما أنجزه علماء الأصول حيال ما أنجزه علماء اللغة يتضح بجلاء " أن المباحث الأصولية اللغوية ليست من نوع علوم اللغة أو النحو العادية؛ فقد دقق الأصوليون نظرهم في فهم أشياء من كلام العرب لم يتوصل إليها اللغويون أو النحاة؛ إن كلام العرب متسع وطرق البحث فيه متشعبة، فكتب اللغة تضبط الألفاظ والمعاني الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي يتوصل إليها الأصولي باستقراء يزيد على استقراء اللغوي؛ فهناك دقائق لا يتعرض لها اللغوي ولا تقتضيها صناعة النحو" [39] ولعل هذا هو المبرر الذي يجعلنا _بحكم الاستقراء_ ندلل أكثر من مرة على أن المنهج الذي اعتمده علماء الأصول ومقارباتهم الواصفة وإلمامهم بكل جوانب الدرس اللغوي والنتائج التي توصلوا إليها تفوق بكثير تلك التي أنجزها اللغويون والنحويون والبلاغيون، وتتأكد _أيضا_ هذه القيمة المعرفية التي تجعل من المدونات الأصولية وكتب

إعجاز القرآن وعلومه مصدرا ثريا ومميزا في التنظير لمباحث اللغة وإشكالاتها من خلال الكم الهائل والقيم من منجزاتهم"ومن هنا كانت كثرة المؤلفات وربما تقدمها أيضا ، في غريب القرآن وفي إعرابه ومعانيه ومشكله ومتشابهه ومبهماته ومجازه وتشبيهه ولغاته ومنطوقه ومفهومه ؛ كما ألفوا في أساليبه الخاصة نحو مقدم القرآن ومؤخره وجوابه وأسرار التكرار فيه وفي مصدره وضمائره وبعض ألفاظه وبعض بنياته الخاصة فيه ووصل الأمر إلى حد اختصاص الآية الواحدة بكتاب أو رسالة خاصة وهو أمر طبيعي إزاء ما يروى من أن القرآن ثلاث آيات في كل منها مائة قول " [40] ويبدو الشاهد السابق سردا دقيقا لأهم قضايا الدرس اللغوي بأدوات علماء الأصول آنذاك بكل اتجاهاته وبنياته،العامة والخاصة ،التركيبية والإفرادية ،الدلالية والشكلية ، الصوتية والصرفية وغير ذلك من الأساليب والمستويات ، كما يكشف عن ذلك التوجه المبكر الذي تجاوز حدود الجملة الضيقة ،إلى فضاءات النص ورحابته وهذا مربط الفرس ، وموضوع القيمة في هذا العرض .

3 الممارسة النصية في الوعي التراثي بأدوات فارقة

ونقصد بالأدوات الفارقة تلك التي أنتجها البحث الأصولي أو استنبطها من المتن القرآني وهي بالوصفين السابقين تعد منجزا أصيلا يحمل براءة الإنتاج وينسجم مع السياق الثقافي والمعرفي الذي أنتج هذه المنظومة وقيمة هذه الأدوات لا تتحدد بالضرورة بمدى مطابقتها للأدوات الغربية الحديثة وإن مطلبا بهذه الكيفية : (يعني أن تكون أدوات التراثيين مطابقة للمنجز الغربي الحديث) لهو مطلب يقفز على سنن المعرفة من حيث أنه يشترط فعلا لا ينسجم مع حركة الزمن واشتراطات المكان وهو بذلك تحميل للفعل التراثي بطاقة تتعارض مع مطلب المساقات الزمانية والمكانية ،إنما قيمة هذا المنجز ومدى مصداقية أدواته تتحدد بطبيعة الأداء وإجراءات الوصف ومنهج المقاربة وكل تلك المفردات في سياق بحثنا هذا تُترجم بمدى إدراكهم لظاهرة الاتساق والتماسك النصي والاشتغال على النص بكل مكوناته مع القدرة على وضع قواعد ناظمة تحدد الكيفيات التي تبرر هذا الاتساق وتحدد آلياته وبقدر نجاعة منجزهم في هذا الإطار المفاهيمي الذي حددناه بقدر ما يمكن أن نحكم على هذا المنجز بالكفاءة والاقتدار؛ ولقد كان بحثهم في منطق الاتساق والتماسك في القرآن الكريم بوصفه مفردة مهمة في إجراءات الممارسة النصية — قصد المعاينة والإثبات — يتحدد في فهم ظاهرة مهيمنة وفعالة في الخطاب الكريم ألا وهي إدراك العلاقات المحكمة التي تشد الخطاب بعضه إلى بعض وتعبر هذه الظاهرة عن نفسها بمقولات إجرائية محددة نحاول أن نرصدها _كما فهمها أعلام التراث العربي وكما أصلوا لها في متونهم_ التي تترجم وعيا دقيقا بهذه الظاهرة وبإمكاناتها في إحداث نسق الاتساق، مع قدرة عجيبة في الوصول إلى المقولات التي تتحكم في هذه الظاهرة وتُسهم في إنتاج هذا التماسك المحكم ، يرافق هذا الوعي وهذه القدرة _ لدى بعض أعلام تراثنا_ رغبةٌ ملحةٌ بضرورة اعتماد هذه الظاهرة الفعالة بمقولاتها الإجرائية منهجا في استقراء القرآن وتفسيره، لما تحققه من مكاشفات تؤكد تميز الفعل القرآني وروعته بعد ما تؤكد إحكام نسقه وإتقان بناءه وفق منطق متسق ، منسجم و متماسك ، يَحكُم الخطاب الكريم كله ، من أوله إلى آخره.

3 _ 1 : استقراء للظاهرة من خلال عينات دالة

إننا نفهم من تلك المساءلات الحثيثة التي كان يطرحها العلامة (النيسابوري) وعياً بضرورة فهم أسباب التماسك بين أجزاء الخطاب الكريم، لقد كان يلح بالسؤال حين تُقرأ عليه الآية من القرآن الكريم: "لما جُعلت هذه الآية من القرآن إلى جنب تلك؟ وما الحكمة في جعل السورة إلى جنب هذه السورة...؟ " [41] والسؤال الذي يثيره (النيسابوري) هنا ليس طلبا ينتظر جوابا تركن إليه عقولٌ مفرغةٌ تؤثر السلامة وتكتفي بظاهر الأشياء ،بل هو تحفيزٌ لعقل فطن، أضناه البحث الجاد عن الحكمة في الارتباط بين الآية والآية والسورة والسورة ؛هذا الارتباط الذي لا يخلو من دلائل على العظمة والتميز ويضيف (النيسابوري) قاطعا بأن سر الإعجاز الذي أذهل أساطين العربية إنما مرده إلى ذلك الارتباط الخفي القوي الذي يجعل القرآن الكريم كله _ بهذا الوصف_ كالكلمة الواحدة تماسكا وتلاحما حيث يقول "إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره ،حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة ، ترتيبا وتماسكا"[42] إن هذه الصرامة التي يصف بها (النيسابوري) القرآن الكريم بأنه كلمة واحدة ترتيبا وتماسكا، يعكس وعيا ناضجا باتساق النص الكريم في ملكات هؤلاء الأفذاذ،هذا الوعي الذي يتواتر مع أعلام آخرين ولعل وصف(أبوبكربن العربي) القرآن الكريم في سياق آخر بالكلمة الواحدة يكرس الوعي نفسه، حين يجيب عن تساؤلات (النيسابوري) فيقول:"إن ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني،منظمة المباني،علم عظيم "[43]ويبدو توصيف(ابن العربي)هذا الارتباط النصي الموسوم عنده ب(متسقة المعاني،منظمة المباني) بأنه علم عظيم نفيا أن تكون هذه الظاهرة في القرآن الكريم عرضا معزولا أو فعلا عابرا لا يتكرر ويؤكد تعقيبه بأن هذا العلم " لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه " [44] يؤكد أن هذا الفهم المحكم للقرآن الكريم لم يكن في متناول العامة من العلماء بل ربما كان سابق عصره وهو من المكاشفات التي اختص الله بها قلة من الدارسين ويؤكد في الآن نفسه أن هذه الممارسة الناضجة كشفت عن دقائق النص الكريم من حيث أنها ترصد بنيته المتلاحمة التي تنطلق من اعتباره كلمة واحدة.

إن من المهم إذن في قراءة الخطاب الكريم وصل الآية بالآية بمقتضى ملائمة ما وربط السورة بالسورة امتثالاً لتناسب ما وصولاً بهذا التدرج إلى السياق العام؛ الذي يحكم الكتاب الكريم كله و كأننا – بهذا الوصف – حين نقرأ الآية في مستوى أول، قرأنا السورة كلها في مستوى ثان، و قرأنا الكتاب العظيم كله في مستوى ثالث؛ إن هذا التماسك الذي أثار(النيسابوري) حوله المساءلات التي تحفز الفكر للخوض في تفاصيله، ووسمه ابن العربي بالعلم العظيم لأنه يجعل القرآن الكريم كلمة واحدة متسقة المعاني ، ومنظمة المباني يحدد (الزركشي) مرجعيته إلى جملة من العلاقات الدقيقة التي تربط أجزاء الخطاب حيث يقول :" و كذلك المناسبة في فواتح الآيات و خواتمها و مرجعها – و الله أعلم – إلى معنى ما رابطٍ بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حسي و غير ذلك من العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب و المسبب والعلة المعلول والنظيرين و الضدين ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود في باب الخبر. "[45] وتكرس هذه العلاقات المحددة التي أشار إليها

(الزركشي) والتي تحكم فواتح الآيات وخواتمها نسقا محكما تغيب فيه الاعتباطية ويتواتر فيه الإحكام المتقن مع تنوع واضح لتلك العلاقات (الخاص والعام / الحسي والعقلي /السبب والمسبب/ العلة والمعلول / النظرين والضدين /.....) وهي علاقات على كثرتها و تنوعها تحضر واقعا نصيا في الخطاب الكريم تبرر اتساقه وتماسكه و يدلل عليها(الزركشي) وغيره من الأعلام في أكثر من عينة، لا يتسع هذا المدخل لإيرادها جميعا

3 _ 1 أ : الظاهرة بأدوات الشاطبي

وإذا تجاوزنا هذه العلاقات المحددة التي أشار إليها(الزركشي) في محاولة للوقوف على مقولات أدق تقترب خطوات في تحديد مسوغات اعتبار الخطاب الكريم(كلمة واحدة) وقفنا مع عبقرية (الشاطبي) وهو يدلل على أن اعتبار الخطاب الكريم(كلمة واحدة) مرده بالأساس إلى مرجعية تتمثل في أن: القرآن يفسر بعضه بعضا، وليس ذلك إلا للقرآن ! "فكثير منه لا يفهم معناه حق الفهم، إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى ولأن كل منصوص عليه من أنواع الضروريات مثلاً، مقيد بالحاجيات، فإذا كان كذلك، فبعضه متوقف على بعض في الفهم، فلا محالة أن ما هو كذلك فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار" [46]

إن هذا الاعتبار الذي يقرأ به(الشاطبي) القرآن الكريم كلمة واحدة رغم أنه يمتد عبر مساحة نصية طويلة لا يَسْتَقْرِئُ البعد الدلالي فحسب_ رغم أهميته_ بل يعكس فهما دقيقا لبنية القرآن الشكلية المحكمة التي تُختزل في الكلمة الواحدة بطاقتها التعبيرية ، التواصلية والجمالية ،مثلما يؤسس لقيمة نصية بالغة الأهمية تتمثل في ظاهرة التناص ، (Intertextuality)التي تعد معيارا مهما من معايير النصية بمنظور أعلام لسانيات النص المحدثين،

وحين نتأمل إشارة مهمة للسيوطى _في موضع آخر_ يتأكد حضور التناص في المنجز التراثي حيث يقول " قال العلماء : من أراد تفسير الكتاب العزيز ، طلبه أولاً من القرآن ، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر" [47] واستهلال (السيوطي) كلامه ب(قال العلماء) إشارة مهمة بأن هذه القاعدة هي أصل بالاتفاق وهو ما تجده في حال تصفحك مصنفات الكثير من الأعلام ...وتمتد معاينة (السيوطي) إلى مستوى أخر هو تلك العلاقة بين الخطابين القرآني والنبوي يقول"فإن أعياه ذلك طلبه من السنة؛فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، وقد قال الشافعى رضى الله عنه : كل ما حكم به رسول الله فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً، سورة النساء105 في آيات أخر، وقال : " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، يعنى السنة" [48]

3 _ 1 أ : أولا التناص منجز تراثي

مساقات متنوعة للتناص

وقد تمتد العلاقة بين النص القرآني الكريم وبين خطابات الصحابة لقرابة عهدهم بالنزول ولمعرفتهم بدلالة النص الكريم أكثر من غيرهم بفعل المعايشة لحظة النزول يضيف (السيوطي) "فإن لم يجده في السنة رجع إلي أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، وقد قال (الحاكم) فى 'المستدرك' :"إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له

حكم المرفوع " [49]ولا يحتاج النظر الصحيح إلى تأكيد أن ما قرره العلماء في هذا الشاهد _ والسيوطي عينة فحسب_ من ضرورة استدعاء النصوص القرآنية داخل نص ما هو نفسه ما قرره الخطاب النقدي المعاصر في التأصيل لظاهرة التناص (Intertextuality) التي ليست إلا استحضار مجموعة من النصوص داخل نص أكبر بمقتضى علاقة التتابع والتداخل وتبدو عبارة (.. فإن لم يجده في السنة رجع إلي أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله...) فكرة بالغة الأهمية تحتاج إلى وقفة نقاش يبدأ بأن ما يقرره الصحابة في تأويل النص الكريم في ترتيب ثالث بعد القرآن، ثم كلام النبي إنما هو فهمٌ انطبع في ملكاتهم رضوان الله عليهم بفعل ملازمتهم للنبي وبما تعلموه منه، لفظاً ومعنى،وقد قال(ابن تيمية) "يجب أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ وسلم بَيَّنَ لِأَصْحَابِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ كَمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَلْفَاظَهُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** النحل 44 يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا " [50]والدليل على ذلك ما قرره الصحابة أنفسهم "وَقَدْ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السلمي: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ : كَعُثْمَانَ بْنِ عفان وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنْ النَّبِيِّ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالُوا : فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا وَلِهَذَا كَانُوا يَبْقَوْنَ مُدَّةً فِي حِفْظِ السُّورَةِ" [51]

سقنا هذه الفكرة لتأكيد أن مساحة الاجتهاد في تأويل النص الكريم لم تكن فعلا مشاعا دون تأسيس ، فهاهم الصحابة رضوان الله عليهم على مكانتهم ومعرفتهم بالعربية وقرابتهم من النبي ومتابعتهم لملابسات النزول وهي عوامل كلها تبيح لهم قراءة النص الكريم في هذا الإطار المفاهيمي دون حرج أو تردد لكنهم رغم تلك المسوغات كلها لم يعطوا لأنفسهم هذا الحق إلا في الحدود التي تمنعهم من الزلل بمقتضى ما كانوا يتلقونه عن أعرف الخلق بكتاب الله وهو النبي ولذلك نفهم سر قلة الخلاف بين الصحابة في تفسير القرآن قياسا بالتابعين الذين كانوا أكثر خلاف فيما بينهم من الصحابة وأقل خلاف قياسا بالذين جاءوا من بعدهم .

والعبارة نفسها تكرس أيضا بنية الانسجام النصي بمنظور لسانيات النص من حيث أنها تشترط لفهم النص القرينة المقامية متمثلة في ملابسات وظروف إنتاج النص والسياقات المرافقة لتَنَزُّل النص القرآني الكريم

إن ظاهرة التناص كممارسة نصية واضحة في ثنايا الفعل القرآني تمتد عبر مستويات عدة داخل الخطاب الكريم تحت استراتيجية (القرآن يفسر بعضه بعضا) وعلاقة القرآن بالقرآن بهذا الوصف هي تناص، وإن لم يوسم بالمصطلح نفسه . وبعبارة أدق إن "من خصائص الأسلوب القرآني ما يشير إليه القول المأثور(القرآن يفسر بعضه بعضًا) وهو ما يتفق مع الدراسة الحديثة للنصوص من حيث مبدأ التناص..فإذا كان التفسير شرحا للقرآن فبينه وبينه تناص وإذا أعانت آية علي شرح(أي تفسير)آية أخرى فبين الآيتين تناص وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضًا فبين بعضه وبعض تناص " [52] ذاك الذي عناه (تمام حسان) وقد أحاط معرفة دقيقة بالتراث العربي القديم وتمثل المنجز الغربي الحديث تمثلا جيدا بأن مبدأ التناص هو واقع لغوي في النص القرآني الكريم ، مع التنبيه على أن هذا التناص هو بين آيات القرآن فيما بينها بحكم تلك

العلاقات التي أشار إليه الأصوليون _ والشاطبي عينتنا هنا_ وهي: المتقدم بالمتأخر والمجمل بالمفصل والكل بالجزء ووو.. وغيرها من العلاقات ، وهي ظاهرة ترجمتها إستراتيجية التفسير وتلك قيمة أخرى تبرهن على قصب السبق لتراثنا الثري في كثير من مفردات الممارسة النصية وتحديدا في حقل لسانيات النص.والذي يعد فيها التناص معيارا نصيا مهما كما قرر أعلام لسانيات النص من الغربيين المحدثين أمثال (دي بونجراند) إلى (مايكل هاليدي) وغيرهم ....

3_1_ ب : محددات أخرى لاعتبار القرآن بنية متسقة

وفي مستوى آخر ينبني اعتبار الخطاب الكريم كلمة واحدة – لدى (الشاطبي)- على تأصيل علمي دقيق هو أن " المدني في السورة ينبغي أن يكون منزلاً على المكي و كذلك المكي بعضه مع بعض و المدني بعضه على بعض، حسب ترتيبه في التنزيل و إلا لم يصح و الدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه – دل على ذلك الاستقراء – و ذلك إنما يكون ببيان مجمل أو تخصيص عموم أو تقييد مطلق أو تفصيل ما لم يفصل أو تكميل ما لم يظهر تكميله "[53] *وحين نتأمل هذا النص الذي يورده(الشاطبي) نقف على قدرة عجيبة لدى هذا الرجل الفذ في توصيف المقولات التي تنتج بنية النص المتسقة في تنوعها ودقتها وإلمامها بدءا من المعطى السياقي الذي يُحكم الصلة بين خطابين مختلفين في البيئة التي رافقت وجودهما مرورا بالعلاقات التي تشد أكثر من خطاب إلى خطاب آخر وإن تباعدت بينهما المساحة النصية ، فالعلاقة بين الخطابين المكي والمدني وإن بدا أنهما يختلفان دلالة لاختلاف مكان النزول إلا أنهما يدللان على التماسك النصي لأن أحدهما يستحضر الأخر بالضرورة، إذ قد لا تتضح الدلالة إلا بأن ينبني المكي على المدني أو العكس وعملية استحضار النصوص داخل النص القرآني هي أوضح تجليات التناص القرآني ، الذي أشرنا إليه سابقا، هذا التناص الذي يعبر عن تميزه من خلال تنوع آلياته ، القائمة على العلاقات المتباينة والمتنوعة المحددة ب:(وذلك إنما يكون ببيان مجمل أو تخصيص عموم أو تقييد مطلق أو تفصيل ما لم يفصل أو تكميل ما لم يظهر تكميله) وكلها علاقات تجعل من الخطاب الكريم فضاء رحبا يتلاقي فيه كمٌ كبيرٌ من النصوص في اتساق وانسجام وإن اختلفت اتجاهاتها المحكومة بلحظة تنزل الخطاب الكريم*

وقد تتنوع قضايا الخطاب القرآني في السورة الواحدة ، غير أن هذا التنوع لا يبيح قطيعة داخل النص بين مكوناته بل يظل الترابط بين أجزاء الخطاب حاضرا ،: "غير أن الكلام المنظور فيه ، تارة يكون واحدا بكل اعتبار ، بمعنى : أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت ، وعليه أكثر سور المفصل وتارة يكون متعددا في الاعتبار ، بمعنى : أنه أنزل في قضايا متعددة ، كسورة البقرة وآل عمران والنساء واقرأ باسم ربك وأشباهها ولا علينا أنزلت السورة بكمالها دفعة واحدة أم نزلت شيئا بعد شيء "[54] ثم يدلل على ذلك فيقول:" فسورة البقرة مثلا كلام واحد باعتبار النظم واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها ، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم ومنها ما هو المقصود في الإنزال ....وسورة المؤمنين نازلة في قضية واحدة ، وإن اشتملت على معان كثيرة ، فإنها من المكيات وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان ، أصلها معنى

واحد وهو:الدعاء إلى عبادة الله تعالى... فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار ."[55]

و بالعودة إلى مفاهيم (الشاطبي) في تحديد تماسك النص القرآني يورد مجموعة من العلاقات التي يتفق فيها مع الكثير من علماء الأصول وهي علاقات متنوعة تدلل على أن النص القرآني المحكم تتنوع آليات إحكامه بتنوع السياقات التي يتنزل فيها النص من ذلك ((المتقدم/ بالمتأخر) (تبين/ المجمل) (تخصيص/ العموم) (تقييد/ المطلق) (تفصيل ما/ لم يفصل) (تكميل/ ما لم يكمل)).

وبهذا الوصف، لا يمكن فهم الآية –فضلاً على السورة– بعيدا عن وجهة الخطاب الدلالية، و بالوصف نفسه لا يمكن –إطلاقاً– تصور حياد دلالي لأبسط وحدة لغوية، ذلك أنه بتعبير منطق التلقي والتأويل الدلالة محصلة العلاقات المتداخلة بين الوحدات اللغوية"لأن التأويل الدلالي لأي كلمة ينعكس على المجموع "[56] إذ " كل حدث و كل كلمة يمكن أن توضع في علاقة مع كل الأحداث و الكلمات "[57] حتى " إن الحرف من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة "[58] وحاصل ذلك أن الخطاب الكريم، وإن تنوعت مضامينه الجزئية و تعددت قضاياه، فإن هذه المضامين و تلك القضايا، تعود في الأخير إلى أصل ثابت ومرجعية مهيمنة تعد " ثابتا بنيوياً "[59] وبيان هذا الثابت البنيوي، الذي ينطلق منه الخطاب الكريم في انسجام و تماسك كالبناء الواحد أو(كالكلمة الواحدة) هو أنك – باعتبار ثان – يفصل(الشاطبي) " إذا رأيت في المدنيات أصلا فتأمله تجده جزئياً بالنسبة إلى ماهو أعم منه أو تكميلاً لأصل كلي وبيان ذلك أن الأصول الكلية التي جاءت الشريعة بحفظها خمسة:وهي الدين والنفس والعقل والنسل و المال."[60]

4 صدى التراث في وعي المحدثين

و كل فهم للخطاب الكريم – بوصفه " كلمة واحدة " – عند محدثينا، يتأسس على تأصيل القدامى، إننا نقرأ نصاً للأستاذ (محمد مفتاح) مستوعبا نص (الشاطبي) ومتمثلا لمضامينه وأبعاده، إذ يقول: (صار المتن القرآني الذي بلغ في سنوات طويلة و سياقات مختلفة و صياغات متنوعة، لأناس متعددي الأهليات والأهواء بمثابة كلمة واحدة، لها معنى أصلي أو معنى و معاني تابعة، تعزز المعنى الأصلي ولا تلغيه "[61]

و في السياق نفسه، نقرأ لمؤلف النبأ العظيم نصا دقيقا يرصد البؤرة التي تنجذب إليها السورة من القرآن في انتقالها الدلالي المترابط و المتلاحم تصنع فيه البنية المتماسكة اللحمة التي تحكم أجزاء الخطاب، فتعد جراء هذا الانجذاب " بنية متماسكة، قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس و أصول و أقيم على كل أصل فيها شعب و فصول و امتد من كل شعبة فيها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها، كما تنتقل بين حجرات و أفنية، في بنيان واحد و قد وضع رسمه مرة واحدة "[62]

وقد نقف على كم كبير من الإشارات الدالة على حضور التراث بمنجزاته النصية المحددة سلفا في خطابات المحدثين واستقصاء هذا الملمح لا يتطلب كثير عناء، فكثيرة هي الطرائق والمناهج التي قاربت النص الكريم عند المحدثين العرب استلهمت مرجعياتها من تأصيل القدامى ولعل مدارس التحليل البياني والمقاربات السياقية المعروفة التي قرأ بها الكثير من الكتاب المحدثين النص القرآني إن هي إلا صدى لذلك التأصيل الفذ الذي وضع معالمه القدامى،

تلك المعالم التي ما تزال تأخذ ألباب العارفين بقيمة ذلك التراث الثري والتي تحاول بما تنجزه من دراسات معمقة تشهد بها رفوف المكتبات الجامعية أن تستثمر أقصى ما يمكن أن يبوح به ذلك الفكر المتألق المتميز.[63]

5 عود على بدء

وباستقصاء الظاهرة في فكر هؤلاء الإعلام نجد منزعا بتتبع هذا التماسك بين الآية و الآية و السورة و السورة، مرفقا بحرص شديد أن هذه الظاهرة هي عصب الخطاب الكريم الذي يجب مراعاته لأنه يعصم من الخطأ ويصون الفهم الصحيح، يقول(الزركشي):" اعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول و يعرف به قدر القائل فيما يقول "[64]، و يبدو(فخر الدين الرازي) مدركًا بحسه الفني الرفيع بأن تلمس أسرار القرآن إنما هو محصلة فك الترابط و العلاقات القائمة بين أجزاء الخطاب، إذ يقول: " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط "[65] وهنا نفهم سبب نعي (السيوطي) على البعض اكتفاءهم بالوقوف عند جمل و ألفاظ الخطاب القرآني و تفسيرها تفسيرا مجردا، دون مراعاة ما بينها من تناسب وترابط و علاقات، إذ يقول:" و علم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته "[66].

6 الانفصال الظاهر، اتصال خفي

و فصل الخطاب ما قرره صاحب البرهان عن بعض مشايخه أنه "وهم من قال لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، و فصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً،وعلى حسب الحكمة ترتيباً"[67]. والتأكيد هنا على علاقتين تحكمان الآية الواحدة الأولى ظاهرة على حسب الوقائع المتفرقة والثانية خفية على حسب الحكمة ترتيبا يعمق ما ذهب إليه(الشاطبي) في اعتباراته السابقة ويؤكد أن " القرآن الكريم وحده هو الكتاب من كل وجهة من وجهتي ترتيبه منهجا عالميا جامعا مانعا محكما ، فهو في ترتيبه النزولي كما قلنا منهج لتأسيس دعوة وأسلوب إقناع بعقيدة وطريقة تبشير وإنذار ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة وبناء حضارة ودستور للعالم كله ، محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه ، أُحكم ترتيبه من هذه الوجهة ليكون هداية للمؤمنين من حيث كان الترتيب النزولي هداية للمؤمنين "[68]. وهو فهم ناضج يضعنا أمام مستويين متوازيين للخطاب الكريم مستوى الترتيب النزولي بإمكاناته الدلالية المتنوعة، ومستوى الترتيب المصحفي مع إمكانات دلالية أخرى لا تقل ثراء وتنوعا عن المستوى الأولى ومع التباين الذي قد يبدو ظاهرا بين هذين الاتجاهين تتأكد عكس ذلك قيم التلاحم والتلاؤم والانسجام بل" إن الترتيب على وجهيه النزولي والمصحفي أحكم وأبلغ وأدخل في باب الإعجاز لذي بصيرة واعية"[69] وبالحديث عن ظاهرة التوازي فإن علاقات الاتصال وإن كانت هي البنية المتجلية التي تحكم الخطاب كيفما كان وتكرس بنيته الدالة فإن علاقات الانفصال في الخطاب القرآني الكريم لها حضورها في إنتاج التماسك النصي فكون الآية مستقلة عن التي قبلها أو بعدها ظاهرا لا يعني عدم تماسكهما بل يجب النظر في علاقات الانفصال بالوصف نفسه مع علاقات الاتصال على أنها من آليات التماسك النصي من حيث أنها تنتج الاتساق بعلاقة التضاد ، وهو" الذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة. ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت

له."[70] إن الذي يبدو انفصالا بين الآية وما قبلها أو ما بعدها إنما هو تجل ظاهر تختفي وراءه علاقات خفية تربط الآيتين بإحكام ولعل ذلك ما قصده محيي الدين ابن عربي حين قرر أن مقتضى النظم الإلهي يبرر وجود هذه العلاقات المحكمة رغم ما يبدو من انفصال ظاهر " لا بد من مناسبة بين آي القرآن ، وإن كان بينهما بعد ظاهر ، ولكن لا بد من وجه جامع بين الآيتين مناسب ، هو الذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات لأنه نظم إلهي."[71] ويبرر النص السابق تأكيد السيوطي في أكثر من موضع على قيمة هذا التعالق في إنتاج التماسك النصي مع ما قد يبدو من عدم الارتباط _ ظاهرا_ "إما أن يكون ظاهر الارتباط ، لتعلق الكلام بعضه ببعض ...وإما أن ألا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به ." [72] فإذا كان الأمر كذلك تأكد الارتباط من خلال آليات عدة يجملها السيوطي في : العطف والتضاد أو قرائن معنوية أخرى كالتنظير الاستطراد والتخلص وغيرها من القرائن التي تحقق مبدأ الاتساق وهي أدوات تخلص في نهاية المطاف إلى "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم)[73]

7 الممارسة التطبيقية بأدوات الإمام البقاعي

و في المعاينة التطبيقية لا يمكن أن نتجاوز فهماً ناضجاً، و تصورًا كاملا لهذا الإدراك، الذي يُوضعُ موضع التطبيق من خلال مشروع جريء في تفسير القرآن الكريم يقترحه الإمام (إبراهيم بن عمر البقاعي) صاحب(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وقد وعى إمكانية اعتماد آلية التناسب إطاراً منهجيًا في تفسير النص الكريم مع ما تملكه هذه الآلية من قدرة على الربط بين أجزاء الخطاب بكل مستوياته التركيبية والمعجمية والدلالية والتداولية ووحداته الصغرى والكبرى ورغم تأكيدنا على قيمة هذا المنجز النصي المكتمل إلا أنه من المؤكد أيضا أن (البقاعي) قد استفاد بشكل واضح من منجزات سابقيه واستثمرها بقدرة مفسر في بناء مشروع جديد في قراءة النص القرآني يعتمد منحى منهجيا دقيقا وإطار معرفيا يستثمر حقولا معرفية عدة أهمها البلاغة النحو ، الصرف ، علم المعجم ، القراءات القرآنية ، التاريخ ، علوم القرآن، والإعجاز وأنه حين انطلق في مشروعه هذا فبوحي من تأثير أستاذه (أبوالفضل المشداليّ المغربي) حيث ينسب (البقاعي) إليه نصا يُعد منظومة نظرية لتوجهه هذا ، إنه يقرر في مقدمة تفسير سورة الفاتحة على لسان شيخه أن:(الأمر الكُلّي المفيدُ لعِرْفانِ مناسبَات الآياتِ في جميع القرآن هو أنّك تنظرُ الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر مايحتاج إليه ذلك الغرض وتنظر إلى مراتبِ تلك المقدِّمات في القربِ والبعدِ من المطلوبِ وتنظرَ عند انجرار الكلام في المقدمات إلى مايستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشرافِ إلى الوقوفِ عليْها فهذا هو الأمر الكلّيُّ المهيمن على حكم الربطِ بينَ جميعِ أجزاء القرآنِ وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله تعالى وجه النظم مفصلا بين كلّ آية وآية في كلّ سورة وسورة، والله الهادي) [74] ولعل المتأمل لهذه القاعدة الذهبية لأستاذ (البقاعي) يدرك أن كثيرا من مفرداتها كانت هي المقولات العامة لمنظومة (البقاعي) في بناء تفسيره النصي

7 _ 1 : قراءة في العتبات النصية

وفي قراءة دلالية لعنوان التفسير _ بوصفه العتبة الأولى _ ندرك المنطق الذي نحاه (البقاعي)

حيث اختزل الفعل القرآني كله في مفردتي النظم والتناسب تأكيدا على أن ما يقوم به المفسر المدرك لأسرار القرآن البيانية والجمالية إنما هو استقراء لتلك العلاقات التي تربط آي القرآن وسوره بعضها ببعض، مثلما يدل لفظا (النظم والدرر) على حضور معنى الاتساق حسيا في ذهن (البقاعي) مع إدراك واضح أن ما يميز النص الكريم هو ذلك النظم المحكم بين الآيات والأجزاء والسور والذي يحاكي نظام الدرر في العقد المنسجم ؛ ويأتي ملفوظ (تناسب الآيات والسور) ليقطع الشك باليقين بأن بنية النص الكريم تتجلى في ذلك المعمار التناسبي بين الآيات فيما بينها وكذا السور فيما بينها والذي يجعل من هذا النص كلمة واحدة اتساقا وانسجاما ؛ ولذلك نجد (البقاعي) يحتج بأقوال غيره في سياق البرهنة على أثر النظم والترتيب في تحقيق فعل الإعجاز حين يورد قول الرازي "ومن تأمل في لطائف هذه السورة وبدائع ترتيبها علم أن القرآن الكريم كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه،وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا أنه معجز بأسلوبه أرادوا ذلك " [75] وفي مستوى آخر يقرر صاحب نظم الدرر ضرورة احتكام المفسر لهذا العلم العظيم إذ يدفعه إلى فهم علل ترتيب الخطاب بكيفية ما : "علم مناسبات القرآن : علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه " [76] بل إن بلاغة القرآن إن هي إلا فهم هذا المنحى بما يفضي إلى إدراك العلاقات السياقية التي توجه دلالة الخطاب الكريم ،يقول " وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال ،وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها ، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير،نسبة علم البيان من النحو . [77] وهو في أكثر من موضع في مدونته التفسيرية يُلح " أن للإعجاز طريقين:أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب والأول أقرب تناولا وأسهل ذوقا"[78] وبهذا التوصيف يقترح محورين أساسين هما محور التركيب ومحو الترتيب ولا يستثني حتى اسم السورة،التي تعد عتبة نصية أخرى تخضع في دلالاتها لهذه الفاعلية "وقد ظهر لي باستعمالي هذه القاعدة عند وصولي إلى سورة سبأ..أن اسم كل سورة مترجم عن مقصدها، لأن اسم كل شيء تلحظ المناسبة بينه و بين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه"[79]، فيكون اسم السورة نصا موازيا للسورة نفسها يحمل دلالاتها ويعبر عن مضامينها وفي مستوى أبلغ يقرر (البقاعي) أن البسملة العتبة النصية الثالثة ،هي خطابٌ تتغير دلالته بالنظر إلى السورة التي يتصدرها، فيعقد بسبب بين البسملة في كل سورة بمقصود السورة نفسها "وأفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة ولا أخرج عن معاني كلماتها "[80] إنه يقرأ البسملة بحيث تستجمع معانيها من معاني السورة التي تتصدرها، فيتمثلها و يفسرها وقد شدت إلى فهم السورة وتفسيرها كله، ذلك أنها لم تتصدر كل سورة إلا لعلاقة بينهما، فهي آية اتسع معناها بحيث يمكن _ بمنظور البقاعي _ أن تسع مقصود كل سورة من سور القرآن الكريم على حدة ولعل هذا الفهم الناضج لوظيفة البسملة – التي تتكرر نفسها في السور كلها، لكنها في فهم (البقاعي) تختلف دلالاتها وإن اتفقت بنيته التركيبية– يعد ذروة الفهم وأقصى ما يمكن أن تصل إليه قريحة متأمل فذ

7_ 2 : أنساق معرفية مهمة في فكر البقاعي

والقارئ الدقيق لأسلوب (البقاعي) في تفسيره هذا يكتشف عبقرية الرجل وخبرته العميقة بدقائق

اللغة وأسرارها ولطائفها، فلا تمر اللفظة إلا وقد قلبها على وجوه عدة وأحصى معانيها ومختلف توصيفاتها وتوظيفاتها ، ثم ينتقل إلى التراكيب فيقارن بين مختلفها مع بسط الحديث في مختلف الدلالات وأوجه التباين وهو في الآن نفسه يشتغل باستقراء مشكلات الإعراب وأوجهه المتباينة ،ثم يعمد إلى خفايا التصريف المعجمي ، معرجا على البديع والبيان في أغلب الآيات، ثم ينتقل بك إلى حقل الأصوات والقراءات فيعاين كل آية وقد أورد جل القراءات ، فيقرأ كل مظهر من مظاهر الخلاف رابطا إياها بدلالة الآية ،عاقدا الصلة بين هذه الآية وما قبلها وما بعدها وتراه أحيانا يتوجه نحو القصص القرآني واصلا إياه بمقتضى السياق شارحا أوجه تكرار هذه القصة في أكثر من سورة جازما أن دلالة القصة هاهنا غير دلالتها هناك" ويتبين لك أسرار القصص المكررات وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة ،أستدل عليه بتلك القصة غير المعنى التي سيقت له في السورة السابقة وبها اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظوم والتقديم والتأخير والإيجاز والتطويل ، مع أنه لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت له القصة " [81] وقد يورد في سياقات معينة أقوال العلماء والفقهاء وخلافاتهم مع الدليل والترجيح رادا القارئ إلى كتب الفقه والحديث والإعجاز واللغة وبنفس طويل تجده يرد على الفرق والطوائف بمنطق دقيق ، منزها كلام الله عن شطحات بعض الفرق وهو في كل هذه الرحلة المترامية الأطراف لا يخرج عن النص القرآني ،رابطا كل شاردة وواردة بالنص،على أساس من التناسب والاتساق معتمدا ذلك الأساس (تفسير القرآن بالقرآن) الذي وعاه كثير من جهابذة التراث ممن اشتغلوا على القرآن الكريم والذين مر ذكر بعضهم في هذه المقاربة وهو أساس تَمَثَّلَهُ (البقاعي) وتشبع بمفرداته ووضعه موضع التطبيق ، فأبدع مدونته (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

خاتمة

هذه بعض مفردات مداخلة ناقشت العلاقة المحكمة بين القرآن والعربية وسر التلازم بينهما بما يجعل العربية ثابتا مهما من ثوابت هوية الإنسان المسلم وإذا تأكدت قيمة العربية من خلال اختيار الله لها لسان الوحي الرباني أولا ، فقد تأكدت هذه القيمة من خلال شهادات العارفين لأسرار العربية من غير العرب لاحقا

ثم انتقلت المداخلة في قسمها الثاني لمعاينة فهم أعلامنا العظماء لظاهرة الاتساق في الخطاب القرآني الكريم بوصفه أهم معيار من معايير النصية التي هي ديدن البحث اللساني المعاصر، وقد ألفينا منجزا تراثيا يضرب بعمق وإسهاب في تحليل هذه الظاهرة بكل أبعادها ومستوياتها، وهذا دافع أول لبناء هذه المداخلة ، يضاف إليه دافع الإنصاف تجاه تراثنا ومحاولة البرهنة على أن في عبقه الشذي مادة خصبة يمكن استثمارها قصد التأسيس لمنظومة إجرائية في تحليل الخطاب و ليس ذلك ضرباً من النرجسية ، لأن تراثنا غنيٌّ حد التشبع بالمباحث النصية وقضايا اللغة بمستوياتها المتباينة التركيبية ، الدلالية ،الصوتية ، السياقية والتداولية ، دل على ذلك الاستقراء ....

أما الدافع الثالث فهو رغبة ذاتية مازلت تلح عليَّ كي اشتغل بنسق القرآن الكريم ، الذي يُمتِعُ كل ذي ذوق ويُذهلُ كل ذي عقل وأن ينابيعه لا تنضب أبدا و أساليبه لا تبّل مطلقا .

 الأستاذ: محمد مكي

الهوامش والإحالات

[1] -Abdul sabur Shahiiin *Arabiyat quraan*, maktab shabaab ul qaahira page32.
[2] Abdul sabur Shahiiin *Arabiyat quraan*, maktab shabaab ul qaahira page 32.

[3] -Twaha Jabir alawany , *nahau manhajiya ma'arifat quraaniya muhawalaat fi bayaanat kawaaid manhaj tawhidil maarifa sisilata kitaab dawaar yasdiru markaz falsafat diin wal kalaam ul jaded fi Baghdad* , Dar hadi litaba'a wanashir watauzii Beirut 1st edition (2004) pages 8,9.
[4] -Muhammad Husein ali swaghir nadhwaraat muasirat fil quraan karim Dar ulmaurukh , Lebnaan , Beirut.page 23.
[5] -Twaha jaabir alawany , *Nahwu manhajiya ma;arifat quraniya* ,page 9.
[6] -Abdil sattar Jawarii , *Nahwu quraan matbuatil majmua alamyiliraqi Baghdad*. (1394 hijiria 1974) 1st edition. page 7.
[7] -Alkhauly Amiin. *Diraasat Islamiya* . Dar kutub misriya , qahira 1996, s 38.
[8] -Abduswabur Shaahin, *Arabiyatquraan* s 8.
[9] -Abduswabur Shaahin, *Arabiyatquraan* s 67.

[10] -Abduswabur Shaahin ,*Aarabiyatquraan s* 20
[11] -Abduswabur Shaahin , *Arabiyatquraan s* 20.

[12] -Muhammad Safiir Ali alhusein, *Nadhwarat muaswira fi l quran karim s 69.*
[13] -Muhammad Safiir Ali alhusein, *Nadhwarat muaswira fi l quran karim s 67*

[14]-Alhafidh bin Asaakir. *Taarikh ma daniya Dimishk* ,Dar Fikr Dimishk 21st edition,page 407.
[15] Alaskalany ahmed bin ali Muhammad alkanany ,Talkhis lkhabir , Muasasat qurtub 1st edition, (1995/h1416) ca juzu'u 4 s 7.
[16] Muhammad Safiir Ali Alhusein, *Nadhwarat muaswira fi l quran karim* s page 23 - 24.

[17] - Theodore Nulidak :*Lughat samiyat tahtwitwamma tarjumaduktuur* Ramadhan Abdul tawab .Dar nahdhwat arabiya Cairo.(1963) page 9.
[18] Aghlab hadhih almaqulaat wai'amthaliha maujuda fi kitabul stadh anwar jundi ladhi aladhi baraa fi rasad hadhih lmada wayumkin rujuila hadhil anawin lilmaluf nafsuh alaa sabili mithali (*alfasah lughatul quran)(lughatil arabiya baina khusumuha waiansarahu)(tiyaratil wafad)(samuumul ishtiraak) (alilm islamiya wal istimaar siyaasi waijtimai wathqafi)*
[19] - Anwar Jundiy ,*Lughat l arabiya baina khusumuha waiansarahu*) wahimatuh matbuat risalaat shaari'I abidiin misra,Cairo.pages 24 - 25..
[20] -- Anwar Jundiy ,*Lughat l arabiya baina khusumuha waiansarahu*) wahimatuh matbuat risalaat shaari'I abidiin misra,Cairo.pages 25..

[21] .-Anwar Jundi,*Fasah lughat il quraan* ,Darul kitabu Libnan Beirut (1982 hijriah 1402). Page 306.
[22] - .Anwar Jundi,*Fasah lughat il quraan* ,Darul kitabu Libnan Beirut (1982 hijriah 1402). Page 306.
[23] -Anwar Jundi, *Fasah lughat il quraan,* Darul kitabu Libnan Beirut (1982 hijriah 1402) page 306
[24] .- Anwar Jundi, *Fasah lughat il quraan,* Darul kitabu Libnan Beirut (1982 hijriah 1402) page 302.

[37] -Abdul hakim Raadhi,*Naqdil lughawi fi turathil arabi majalat fusul 6th ed.* ; Jan/Feb/ Mar. alhiatil Misriya aamat lil ktab misra (1986 80).
[38] -Abdul hakim Raadhi,*Naqdil lughawi fi turathil arabi majalat fusul 6th ed.* ;Jan/Feb/Mar alhiatil Misriya aamat lil ktab misra (1986 80).

[39] -Ali Sami Najar ,*Manaahij lilm fil aalm islaamiya* . Dar nahdhwat liltibaat wanashr t 3 Beirut (1984) page 91.
[40] -
[40] -Abdul hakim Raadhi , *Nadhariyat lugha fi naqdil arabi*. page 407.
[41]-B. 3 h 1400 m 1980s 36.
[42] -Naklaa'an : Ridhwan . Dr. Bisyun Arafat: *Alfasl walwasl* .Maktab risalat , Cairo 39.
[43] - -Zarkash Burhaan ,*Fi ulumil quran ,juzu'u* 1 pages 36.
[44] -Zarkash burhaan fi ulumil quran ,juzu'u 1 s 36- 37.

[45] Zarkash Burhaan ,*Fi ulumil quran , Fi ulumil quran ,juzu'u* 1 pages 35

[46]- Abu ishak Ibrahim bin Musa bin Muhammad, *Lil khami sha t'ialmuwafikaat fi usul shari'iyat, taqdim fadhilatu s*heikh Bakr bin abdillah abu Dar ibnul kayim j 4 Dar bin Afan misra tw. 2003 s 275.
[47]- *Jaluddin abdirahman suyuti alitikan fi ulumul quraan taqdiim wata'aliq* , Dr. Mustafa Diid albaghaa Dar. Bin kathir liltibau wanashr Dimishk 5th edition.(hijria 1422 2002) page 1197.
[48] - *Jaluddin abdirahman suyuti alitikan fi ulumul quraan t*aqdiim wata'aliq , Dr. Mustafa Diid albaghaa Dar. Bin kathir liltibau wanashr Dimishk 5th edition (hijria 1422 ,2002) page 1197.

[25] Anwar Jundi, *Fasah lughat il quraan*, Darul kitabu Libnan Beirut (1982 hijriah 1402) page 302.

[26] Anwar Jundi, *Fasah lughat il quraan*, Darul kitabu Libnan Beirut (1982 hijriah 1402) page 27

[27] -Anwar Jundi, *Fasah lughat il quraan*, Darul kitabu Libnan Beirut (1982 hijriah 1402) page 27

[28] -Anwar jundi,*Fasah lughat il quraan* page 306.
[29] Anwar Jundi, *Fasah lughat il quraan*, Darul kitabu Libnan Beirut (1982 hijriah 1402) page 302.
.

[30] -Anwar Jundi,*Fasah lughat il quraan*s. page 301.

[31] -Anwar Jundi. *Fasah lughat il quraan* page 308.

[32] -Zaighrid Hunkat Shamsil, *Arab tastau alal gharb* tarjumat Faruk Baydhun wa Kamal Dausuki raaijuhu Marwan Isa khauri Darul Jil, Beirut , Lebnan 2nd edition (hijria 1413 : 1993).
[33] -Mahmud Ahmad Abufaraj , *Almu'jam lughawiyat fi dhaui diraasat ilm lughal hadith* ,Dar nahdhat Arabiyat wanishr Misr page 24.
[34] -Abdul hakim Raadhi , *Nadhariyat lugha fi naqdil arabi maktabatil khanij Misr* page 465.
[35] -Mundhiril Ayash , *Mauludul balaghat wanasha'aha mauqi'I durus mishkaatil ilmiya.* http://www.almeshkat.net/droos
[36] -Mundhiril Ayash , *Mauludul balaghat wanasha'aha mauqi'I durus mishkaatil ilmiy*a. http://www.almeshkat.net/droos

araby tw 2 – Dar ul baidhai magharib 199 s 1990.

[60]- Almaufiqaat lil shaatiby j 3 s 236.

[61] - Muhmad miftah dinamyat nas.s 199.

[62] - Abdillah diraaz , anabal adhwim matba;atu saadadat misra m 1379.m 151 s 1960.

[63] - Undhur mualafat tafsir albayan a hamuha ;jhfj ustaad aisha binti shatwi'I walustadh Fadhik Samarai waghairuhumaa, alati tanaawalat nas quran bitahlil bayan wasiyaaqi.

[64] - Zarkash burhaan fi ulumil quran ,juzu'u 3 s 36.

[65] - Zarkash burhaan fi ulumil quran ,juzu'u 1 s 47.

[66] - Asuyuti , alitqaan filquraan j 2 s 976.

[67] - Zarkash burhaan fi ulumil quran ,juzu'u 3 s 36-37

[68] - Asuyuti , jaladdn abdirahman – tanaasaq daura fi tanaasab sura dirasaat watahaqiq: Dr. abdiqadir ahmed ata a(muqadimat tahqiq) Dar ktabul ilmiya Beirut min kalam almuhaqiq s 13-14.

[69] - Asuyuti , jaladdn abdirahman – *tanaasaq daura fi tanaasab sura dirasaat watahaqiq: Dr. abdiqadir ahmed ata a(muqadimat tahqiq)* Dar ktabul ilmiya Beirut min kalam almuhaqiq page 13-14.

[70] Zarkash, *Burhaan fi ulumil quran* ,part 1 pages 36

[71] Zarkash, *burhaan fi ulumil quran* ,part 1 page 36

[72] Asuyuti , *Alitqaan filquraan,* part 2 page 978.

[73] Asuyuti , *Alitqaan filquraan* , part 2 page 978.

)[49](*Undhur ila itqan fi ulumul quraan lisuyuti* 2nd ed. Page 976, wandur ; *alburhan fi ulumul quraan li zarkash* 2nd ed pages 175,176.

)[50] (*Takydidin ahmad bin abdihalim ibn taymiya muqadim fi usul tafsir sharha musad bin salmanbin nasir twayar* Dar ibn jauzi linashr watauzi mamalakat arabiya saudiya page 31 2nd edition.

)[51] (*Takydidin ahmad bin abdihalim ibn taymiya muqadim fi usul tafsir sharha musad bin salmanbin nasir twayar* r Dar ibn jauzi linashr watauzi mamalakat arabiya saudiya pages 31-32.

)[52](*Timam Hasan libayaan fi rawai quraan diraasat lughwiya wa 'asliib linas lquran* , Dar ul aalim ktab alqahiratw 1st Jan (1993) page 457..

[53] - *Ashatib almawaakifaat j 4th jutnal page 256*

[54] - *Ashatib almawaakifaat page 267'.*

[55] - *Ashatib almawaakifaat* spage265.

[56] - Ambratoika shi;ir lathar matuj , tr abdurahman bu ali/nawafadha.isdaar daur yaani bitarjumat adb aalimy annada I thaqafy bijidat ishrafi abdul fatah Abu madin /a, 6 shabaan 1419 h decembar 1998 almamlakat arabiya saudiya s 95.. 95 ص

[57] - Ambratoika shi;ir lathar matuj , tr abdurahman bu ali/nawafadha.isdaar daur yaani bitarjumat adb aalimy annada I thaqafy bijidat ishrafi abdul fatah Abu madin /a, 6 shabaan 1419 h decembar 1998 almamlakat arabiya saudiya s 95.. 95 ص

[58]- Mustafa sadik aRaafii , ijaazil quraan wal balagha nabawiya , tw, 3 Dar kitab ul maghrib tw 3 Beirut.

[59] - Muhammad miftah daynamiyat nas –tandhir wainjaaz al markaz thaqafi

[74] Burhanuddin Abil Hassan Ibrahim bin Umar baqaai, *Nidham dirar fi tanaaabal ayat wasuura* 1st edition , Darul kitab islamiya bil Cairo,t page 17.

[75] Burhanuddin Abil Hassan Ibrahim bin Umar baqaai, *Nidham dirar fi tanaaabal ayat wasuura* 1st edition , Darul kitab islamiya bil Cairo,t page 17.

[76] Burhanuddin Abil Hassan Ibrahim bin Umar baqaai, *Nidham dirar fi tanaaabal ayat wasuura* 1st edition , Darul kitab islamiya bil Cairo,t page 6.

[77] Burhanuddin Abil Hassan Ibrahim bin Umar baqaai, *Nidham dirar fi tanaaabal ayat wasuura* 1st edition , Darul kitab islamiya bil Cairo,t page 6 and 7.

[78] Burhanuddin Abil Hassan Ibrahim bin Umar baqaai *Nidham dirar fi tanaaabal ayat wasuura* 1st edition , Darul kitab islamiya bil Cairo pages 11

[79] - Burhanuddin Abil Hassan Ibrahim bin Umar baqaai, *Nidham dirar fi tanaaabal ayat wasuura* 1st edition , Darul kitab islamiya bil Cairo,t page 16 -17.

[80] - Burhanuddin Abil Hassan Ibrahim bin Umar baqaai, *Nidham dirar fi tanaaabal ayat wasuura* 1st edition , Darul kitab islamiya bil Cairo,t page 19.

[81] - Burhanuddin Abil Hassan Ibrahim bin Umar baqaai ,*Nidham dirar fi tanaaabal ayat wasuura* 1st edition, Darul kitab islamiya bil Cairo page 14